فهـل ما تقوم به هذه الجماعات من ممارسـات يمكن إدراجها تحت ما تطلق عليه السياسة الشرعية؟

ولنا في سـيرة رسول الله الأسوة الحسـنة، فلم يفاوض النبي ولم يمالئ ولم يظهـر غير مـا يبطن؛ فعندمـا عرضوا عليه الملـك كان في إمكانـه - بمنطق السلفيّين المعاصرين - أن يباريهم، ثم يفرض شروطه أو دستوره بعد تنصيبه، غير أن هذا لم يحدث، وكذا اتفاقية المدينة أو إن شئت قل: معاهدة المدينة؛ فلـم ينقضهـا ولم يحنث بأي بند فيها رغم أنها تعدّ اتفاقية سياسـية، أؤكد أن ارتـداء عباءة الدين في ميدان السياسـة أضحى من الأمور المفضوحة التي لا تخدع سوى العوام المغيّبين.

□□□

التطرف الديني وأكذوبة داعش

لقد أشرت في غير موضع من كتاباتي إلى كيفية صناعة المخابرات الغربية لعملائهـا في الشرق الأوسـط بخاصة، وسـائر أقطار العـالم بعامة، وذكرت أنهم ينتقون الشـخصيات التي تتوفر فيها عـدة صفات مجتمعة أو بعض منها (الشـعور بالاغـتراب - الاعتـزاز بالأنـا - الفكـر الإطاحي - رفـض الواقع والتمرد عليه - التطلع إلى غايات أكبر من الإمكانيات - الشطط - القدرة على المراوغـة - الأنانية)، ثم يقدمون لها العـون - المباشر وغير المباشر (الإعلام - المال - الترشـيح للوظائف المهمة - التزكية لبعض الجوائز العالمية)، ثم بعد ذلـك يقومون بتدريبه أو تلقينـه و إعداده ليكون آلية لهـم في المكان الذي يريدونه أن يعمل به، والأمثلة عديدة في تاريخ الفكر العربي الحديث، نذكر

على سبيل المثال: إسماعيل أدهم الذي دربوه في المعاهد الإلحادية الروسية، ثم اتصل بالمخابرات الأمريكية والمحافل الماسونية في تركيا، وروجوا لعلمه ودراساته في الرياضيات والفيزياء، ثم ألقوا به في مصر؛ ليشكل خلية إلحادية؛ تستقطب بعض الماركسيين وشبيبة الشوام والمصريين الذين راقت لهم كتابات المستشرقين الطاعنة في الدين والإسلام، ثم حسن البنا وأبي الأعلى المودودي وسيد قطب، وغيرهم من الشخصيات التي أضحت بعد ذلك أمراء منابر التطرف الإسلامي، وعلى الجانب الآخر نجدهم يغذون التيارات العلمانية بنفس الطريقة؛ أي أنهم يجمعون كل الأوراق في أيديهم ثم يلقون بما يصلح للعب في الوقت المناسب، فجماعة الإخوان - على سبيل المثال - لم يفلح عبد الناصر في اقتلاعها من الثقافة المصرية؛ وذلك لأن الأيادي التي كانت تحركها هي التي احتضنت الكثير من أعضائها في السعودية و إنجلترا وأمريكا وألمانيا[1]، وجعلتهم يشكلون خلايا؛ لتقوم بالأدوار التي يكلفون بها تبعًا لتحولات السياسة، والجدير بالذكر أن جماعة الإخوان وغيرها من الجماعات السريّة التي زرعتها أجهزة المخابرات الغربية في الشرق الأوسط كانت تشكل على نحو عنقودي وطبقيّ تنظيميًّا؛ أي أن القيادة هي التي تتلقى الأوامر، ثم تصيغها على نحو يتواءم مع ظاهر ما تعتقده الجماعة، ثم تلقى الأوامر بعد ذلك لباقي الأعضاء من عوام المنتمين، وقد نجح هذا النظام وذلك التركيب في تسييس الجماعات، بداية من القدرة على تغيير القيادة، ونهاية بدفع الأطراف إلى العنف وتنفيذ كل المهام على خير وجه، وعلى هذا الدرب ظهر تنظيم القاعدة وطالبان لمناوئة الروس في أفغانستان، وظهرت

(1) عصمت نصار: من جوة نبدأ، دار الهداية، القاهرة، ط2، 2013.

حماس لمناهضة ياسر عرفات وفتح ومنظمات التحرير الفلسطينية، وكذا الخلايا السلفيّة في شتى أنحاء العالم الإسلامي؛ لتكون بديلاً عن الإخوان عند اللزوم؛ وذلك كله لتحقيق ثلاثة أهداف؛ أولها: ضرب الإسلام من الداخل، وثانيها: الحيلولة بين استقرار الدول الإسلامية والتنمية، وثالثها: تشويه صورة المارد الأخضر وتصويره على أنه دين عنف وحمق ورجعيّة ووحشيّة و إرهاب، ولا تختلف داعش التي أسسها أبو عمر البغدادي عام 1427 هـ، وبعد مقتله تولّى قيادتها أبو بكر البغدادي عام 1431 هـ، وفي 1434هـ نصب الأخير نفسه خليفة للمسلمين في العراق والشام معلنًا الجهاد على سائر الأقطار الإسلامية، بل يميزها أنها جمعت في بنيتها العقدية كل جيف ونفايات التطرف؛ بداية من الكذب والتجديف على الله وتأويل الآيات القرآنية على غير وجهها الصحيح وتوجيه الأحاديث وجهة مناقضة لمراميها ومرورًا بالقتل والنهب والزنا (نكاح الجهاد) وجحد أخلاقيات الإسلام في الحرب والقتال، وانتهاءً بتكفير المسلمين والعمالة للغرب.

وليس أدل على ما قدمنا من سياسة أمريكا وتركيا و إسرائيل تجاهها، فأمريكا التي تتظاهر بأنها تحاربها قد ثبت أنها هي مصدر السلاح الذي يحمله أفرادها، بالإضافة إلى دعمها اللوجستي عن طريق تهجير مئات الشباب إلى العراق وألمانيا وأستراليا، أما تركيا فهي الداعم المباشر على الأرض، فقامت بمهاجمة كتائب الباشمرجا والأكراد؛ لأنهم حققوا انتصارات على عصاباتها، والدعم الإسرائيلي يتمثل في الخدمات الطبيّة التي يقدمونها لجرحاهم في مستشفياتها، بالإضافة إلى الدعم الإخباري المخابراتي، ذلك فضلاً عن جمعهم مئات النساء المدربات؛ لاستمالة شباب الإرهابيّين إحياءً لنظام الحشّاشين في الإغراء (الحور العين الأرضيّات).

أقول: إن داعش لا يمكن إدراجها ضمن الفرق الكلامية؛ وذلك لأنها شأن الكثير من الجماعات المتطرفة تخلو من عنصر التنظير الفقهي والعقدي الذي يبرر أفعالهم، وقد وصفهم النبي بأنهم «كلاب النار».

❐❐❐

التطرف الديني والإبداع

لم تعد المعاجم اللغويّة والاصطلاحيّة عندها الجواب الكافي على معاني الألفاظ والمصطلحات ودلالاتها، فالمبدع والمبتدع كلاهما قد أتى بالجديد والمستحدث والطريف، وعليه لا يمكننا الحكم على الأعمال البديعة أو الأقوال المبدعة إلا استنادًا على المعاني الإجرائية في الواقع المعيش، تلك المعاني التي تستمد دلالتها من ما تحدثه الأعمال من أثر في المجتمع، فأعتقد أن الفارق بين المُبدِع والمبتدع شأن الخلاف بين الممتاز والمخالف، فإننا لا نقول أن هذا العمل وصل إلى درجة الإبداع إلا إذا كان متقنًا، ويحمل بين طيّاته الجِدّةَ والجودة، الأمر الذي يجعل المتلقي يستحسن ما فيه من فنّ وجمال، وعلى قريب من ذلك نجد الأعمال المقوّمة والناقدة والمستحدثة التي تشكل ثورة على المألوف، وهي - بطبيعة الحال - مفارقة للعقل الجمعي، أو إن شئت قل: صادمة له، ولكن ذلك لا ينقص من كونها إبداعًا؛ لما تتميّز به من دقة، وتتفرّد به من إتقان.

أما التطرف فيأتي من مردود الأعمال التي لا ترمي إلا للمخالفة وتقليد الغريب ونقض كل الثوابت دون هدف إصلاحيّ؛ فالدعوة للعريّ مثلاً في الأعمال الأدبيّة أو تعمّد إظهار الفحش والمجون في الأفلام وفي الأغاني وفي الصور والتماثيل؛ كل ذلك لا يعدّ إبداعًا، بل هو تطرّف و إفراط في